أسلوب المقابلة في سورة الرحمن وأثره في المعنى

د. زكريا علي محمود الخضر *

تاريخ وصول البحث: ٨/١١/٢٠٠٧م **تاريخ قبول البحث:** ٢٩/٦/٢٠٠٩م

ملخص

عمل الباحث على دراسة أسلوب المقابلة في سورة الرحمن من ناحيةٍ بيانيةٍ، وبيَّن أنواع المقابلة في هذه السورة، وأوجه التناسب في المقابلات الواردة في هذه السورة. كما عرض الباحث لأهمية المقابلة في تفسير الألفاظ القرآنية، وترجيح المعاني في أقوال العلماء والمفسرين.

Abstract

The Researcher studied the style of comparison in Al- RAHMAN Surah from rhetorical perspective, and explored the types of comparison in this Surah.

In the other side he exposed the features of harmony among the comparison in this Surah.

The researcher also explored the importance of the comparison in the interpretation of the Quranic Adverbials, moreover he choosed the closest opinions for meaning among the commentaries of the scholars and interpreters.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، فإن بلاغة القرآن الكريم فوق الوصف البشري، لا تجاريها أو تدانيها بلاغة أسلوب، ذلك أن نظم آياته وترتيبها وترتيب كلماته وحروفه على أعلى درجات الإعجاز ومراتبه، وفي منتهى طبقات البيان وأقصى غاياته.

وقد بحث العلماء السابقون والمحدثون في كثيرٍ من جوانب إعجازه، ووقفوا على أسرارٍ من بيانه ومعانيه فيما يخص التراكيب والجمل والمفردات، وفتح الله- تعالى- لهم من فهم القرآن ما شاء الله لهم أن يفتح.

وقد نظرت فيما قدمه العلماء والباحثون في بلاغة القرآن الكريم، فوجدتهم قد فصلوا في جوانب من علم المعاني والبيان والبديع، وقد ركزوا كثيراً في تطبيقاتهم في التفسير وعلوم القرآن وكتب البلاغة على علميّ المعاني والبيان أكثر من جانب البديع، وقد وجدت إشاراتٍ بين كتب التفسير وعلوم القرآن وكتب البلاغة إلى جانبٍ من البديع له قيمته وأهميته في التفسير، ألا وهو المقابلة، فأردت أن أدرسه دراسةً تطبيقيةً على سورةٍ من القرآن حفلت بهذا اللون من المحسِّنات البديعية، وهذه السورة هي عروس القرآن الكريم(1) (سورة الرحمن).

وقد بحثت في أنواع المقابلة فيها، ولم أقف على حدود بيان الأنواع لتلك المقابلات فحسب، بل بحثت في تناسب تلك المقابلات وأسرارها، وما يبنى عليها من المعاني، وأثر ذلك في ترجيح المعاني واختيار آراء المفسرين.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مقدمةٍ ومبحثين على النحو الآتي:

المقدمة:

المبحث الأول: التعريف بالمقابلات وأنواعها، وأهمية المقابلة في تفسير الألفاظ القرآنية، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المقابلة لغةً واصطلاحاً، وفيه فرعان:

الفرع الأول: تعريف المقابلة لغةً.

الفرع الثاني: تعريف المقابلة اصطلاحًا.

المطلب الثاني: الفرق بين المقابلة والمطابقة.

---

* أستاذ مساعد، قسم أصول الدين، كلية الشريعة، اليرموك.

المطلب الثالث: أنواع المقابلات.

المطلب الرابع: أهمية المقابلة في تفسير الألفاظ القرآنية.

المبحث الثاني: المقابلة في سورة الرحمن، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المقابلة بين الآيات الكونية.

المطلب الثاني: المقابلة بين الآيات الأنفسية.

المطلب الثالث: المقابلة بين آيات الصفات الإلهية.

المطلب الرابع: المقابلة بين الآيات المتعلقة بالحديث عن الآخرة، وفيه فرعان:

الفرع الأول: المقابلة بين الآيات التي تتحدث عن أهل العذاب.

الفرع الثاني: المقابلة بين الآيات المتعلقة بنعيم أهل الجنة.

الخاتمة: وفيها أبرز نتائج البحث.

أرجو من الله التوفيق والسداد في البحث والعمل، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: التعريف بالمقابلات وأنواعها، وأهمية المقابلة في تفسير الألفاظ القرآنية

المطلب الأول: تعريف المقابلة لغة واصطلاحا

الفرع الأول: تعريف المقابلة لغةً

المقابلة في اللغة هي: المواجهة والمعاينة، قال ابن فارس: (القاف والباء واللام أصلٌ واحدٌ صحيحٌ، تدل كلها على مواجهة الشيء للشيء)(٢).

وقال الزمخشري: (لقيته قِبَلاً وقُبُلاً: مواجهةً وعياناً)(٣).

وقال في لسان العرب: "قابل الشيء بالشيء مقابلةً وقبالاً: عارضه، إذا ضممت شيئًا إلى شيءٍ قلت: قابلته به، ومقابلة الكتاب بالكتاب مقابلته به: معارضته، ...والمقابلة: المواجهة، والتقابل مثله، وهو قبالك وقبالتك: أي تجاهك(٤). وعلى هذا، فإن المقابلة في اللغة تدور على المواجهة والمعاينة، وقد يكون ذلك بالتضاد أو بالموافقة.

الفرع الثاني: تعريف المقابلة اصطلاحاً

للمقابلة في الاصطلاح تعريفاتٌ متعددةٌ عند العلماء، فقد عرفها العسكري بأنها: (إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة)(٥).

وقال الباقلاني: (المقابلة هي أن يوفق بين معانٍ ونظائرها والمضاد بضدّه)(٦).

وعرفها الرازي فقال: (المقابلة هي أن تجمع بين شيئين متوافقين بين ضدّيهما، ثم إذا شرطتهما بشرطٍ وجب أن تشرط ضديهما بضد ذلك الشرط)(٧).

وعلى هذا، فإن هذه التعريفات تنظر إلى التقابل من جهة الموافقة أو من جهة المخالفة بين شيئين فأكثر، فالمقابلة قد تكون في المتوافقات أو المتخالفات.

المطلب الثاني: الفرق بين المقابلة والطباق

هناك اختلافٌ بين العلماء: "هل المقابلة والطباق شيءٌ واحدٌ؟ أو أنهما شيئان مختلفان؟".

ذهب بعض العلماء إلى عدّهما شيئاً واحداً، قال القزويني: (ودخل في المطابقة ما يُخصُّ باسم المقابلة، وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقةٍ، ثم ما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب)(٨).

وذهب بعضهم إلى أن "المقابلة أعم من الطباق، وذهب بعضهم إلى أنها أخص"(٩)، جاء في حسن التوسّل: (المقابلة: وهي أعم من الطباق، وذكر بعضهم أنها أخص، وذلك أن تضع معانٍ تريد الموافقة بينها وبين غيرها، أو المخالفة فتأتي في الموافق بما وافق، وفي المخالف بما خالف، أو تشرط شروطاً وتعد أحوالاً في أحد المعنيين، فيجب أن تأتي في الثاني بمثل ما شرطت وعددت)(١٠).

والملاحظ أن المقابلة أعم من الطباق؛ ذلك أن فيها تقابلاً بين المتوافقات أو المتخالفات، وليس في المطابقة تناظرٌ إلا في المتخالف فحسب، وهذا هو الفرق الذي يظهر به عموم المقابلة على الطباق.

وهذا ما عمل عليه البلاغيون في الحديث عن

الطباق؛ حيث بينوا (أن الطباق لا يكون إلا بين ضدّين في الغالب، في حين أن المقابلة تكون بالأضداد وغيرها)(١١). وينضاف إلى هذا أن المقابلة تقع بين الجمل أما الطباق فيقع بين الكلمات.

المطلب الثالث: أنواع المقابلة

المقابلة على أنواعٍ، فهناك مقابلةٌ من حيث العدد، وهناك مقابلةٌ من جهة الألفاظ، وهناك مقابلةٌ من جهة المعنى، وهناك مقابلةٌ من حيث الترتيب، وهناك مقابلةٌ من جهة الاختلاف.

فأما النوع الأول وهو المقابلة العددية: فهي على النحو الآتي:

١. مقابلة اثنين باثنين(١٢) كقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً﴾[٨٢: التوبة].
٢. مقابلة ثلاثةٍ بثلاثةٍ(١٣):﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ﴾[١٥٧: الأعراف].
٣. مقابلة أربعةٍ بأربعةٍ كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى{٥} وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى{٦} فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى{٧} وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى{٨} وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى{٩} فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[٥-١٠: الليل]، قال الرازي: (فلما جعل التيسير مشتركاً بين الإعطاء والاتقاء والتصديق، جعل ضده وهو: التعسير مشتركاً بين أضداد تلك الأمور، وهو المنع والاستغناء والتكذيب)(١٤).
٤. مقابلة خمسةٍ بخمسةٍ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [٢٦: البقرة]. "للدلالة على الحقير والكبير، الثاني: (فأما الذين آمنوا) (وأما الذين كفروا) الثالث: (يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً). الرابع: (ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه). الخامس: (يقطعون) و(أن يوصل)"(١٥).
٥. مقابلة ستةٍ بستةٍ مثل قول الشاعر:

على رأسِ عبدٍ تاجُ عزٍّ يَزِينُه
وفي رجْلِ حرٍّ قيدُ ذلٍّ يَشينُه(١٦)

وأما المقابلة من جهة الألفاظ، فمثل قول عمرو ابن كلثوم:

ورِثْناهنَّ عن آباءِ صدقٍ
ونورثها إذا مِتْنا بَنِيْنا(١٧)

وأما المقابلة من جهة المعنى: فهي (مقابلة الفعل بالفعل، مثل قوله تعالى:﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ{٥٢} وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[٥٢-٥٣: النّمل]، فخويٌّ بيوتهم وخرابها بالعذاب مقابلة لظلمهم)(١٨).

وقد نظر قومٌ إلى المقابلة من جهة الترتيب، فوجدوها على أربعة أنواعٍ:

الأول: أن يأتي بكل واحدٍ من المقدمات مع قرينه من الثواني، كقوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا{١٠} وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾[١٠-١١: النبأ].

الثاني: أن يأتي بجميع الثواني مرتبةً من أولها كقوله تعالى:﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾[٧٣: القصص].

الثالث: أن يأتي بجميع المقدمات ثم بجميع الثواني مرتبةً من آخرها، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ{١٠٦} وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [١٠٦-١٠٧: آل عمران].

الرابع: أن يأتي بجميع المقدمات ثم بجميع الثواني مختلطةً غير مرتبةٍ مثل: ﴿وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾[٢١٤: البقرة].

فـ**(متى نصر الله)** قولٌ للذين آمنوا **(ألا إن نصر الله قريبٌ)** قول للرسول ﷺ، وهذا لفٌّ ونشرٌ غير مرتب)(١٩).

وأما المقابلة من جهة الاختلاف، فهذا ما ذهب إليه الزركشي، حيث قسّم المقابلة إلى ثلاثة أقسام: نظيريٍّ ونقيضيٍّ وخلافيٍّ.

(فالمقابلة بين النظيرين: مقابلة السنة والنوم في قوله تعالى:﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾[٢٥٥: البقرة] فهما جميعاً من باب الرقاد المقابل لليقظة.

ومثال مقابلة النقيضين: قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾[١٨: الكهف]، ومثال مقابلة الخلافين: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[١٠: الجن]، فهنا قابل بين الشر والرشد وهما خلافيان"(٢٠).

المطلب الرابع: أهمية المقابلة في تفسير الألفاظ القرآنية وتعيين المعاني وترجيحها

للمقابلة أثرٌ في بيان معنى اللفظ القرآني، وتوجيه الأقوال وترجيحها، وها هنا بعض الأمثلة على ذلك:

١- ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[٤٠: النمل]، قيل في تفسيره: (هو رجلٌ من الإنس، وقيل: هو رجلٌ من الجن، وقيل: سليمان -عليه الصلاة والسلام-)(٢١).

وقال السيوطي: (وقيل: جبريل، وقيل: ملكٌ آخر، وقيل: الخضر)(٢٢).

وبالنظر إلى أسلوب المقابلة يمكن طرح كثيرٍ من الاحتمالات التي وردت لبيان معنى الذي عنده علمٌ من الكتاب، حيث جاء في مقابل عفريتٍ من الجن، فهذا مؤمنٌ متبعٌ، هذا **أولاً**.

ثانياً: الآية تبين أن للإنس قدرةٌ وقوةٌ كذلك، وهذه مردها إلى الله -تعالى-، وعلى هذا، فإن المقابلة تظهر قدرتين: قدرة جنيٍّ، وقدرة إنسيٍّ.

ويبعد أن يكون هذا الإنسي سليمان -عليه الصلاة والسلام-؛ لأن هذا لا يحتمله سياق الآية.

٢- وفي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾[٥: الحاقة]، الطاغية: تعني الواقعة المجاوزة للحد في الشدة(٢٣)، واختلف فيها، (فقيل: الرجفة، وقيل الصاعقة، وقيل: الصيحة، وقيل: الطاغية مصدرٌ كالعافية، أي بطغيانهم)(٢٤).

إلا أن المعنى الراجح: هو الأول؛ أخذاً بأسلوب المقابلة بين هذه الآية وقوله تعالى:﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[٦: الحاقة]، وهذا ما تنبّه له الزمخشريّ، حيث قال: (وقيل: الطاغية مصدرٌ كالعافية، أي بطغيانهم، وليس بذاك، لعدم الطباق بينها وبين قوله تعالى: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾)(٢٥).

ومعنى هذا أن المقابلة بين طريقتين في الإهلاك، الأولى طريقة إهلاك قوم ثمود بالواقعة الشديدة، وهي: إما الرجفة، وإما الصيحة، وإما الصاعقة، والثانية: طريقة إهلاك قوم عادٍ بالرّيح شديدة البرد، وعلى هذا: فإن (الطاغية) يبعد أن يراد بها المصدر وهو الطغيان.

٣- وفي قوله تعالى: ﴿وَجَاء فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ{٩} فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً{١٠} إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [٩- ١١: الحاقة].

الذي يعين على بيان وتعيين معنى (من قبله) هو أسلوب المقابلة، فإن لكل قومٍ من المذكورين جزاءً من جنس عملهم، فقد سبق ذكر قوم ثمود وعادٍ، وذكر هنا قوم فرعون والمؤتفكات، وهي قرى قوم لوطٍ عليه السلام، وأشار إلى قوم نوحٍ عليه السلام، فالراجح من ذكر هذه المقابلة أنهم قوم شعيبٍ عليه السلام لاسيما وأنهم فُصِّل في شأنهم في سورة الأعراف في مقابلة جزاء قوم نوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ.

قال ابن جزي: "ومن قبله" يريد من تقدم قبله من الأمم الكافرة، وأقربهم إليه قوم شعيبٍ، والظاهر أنهم المراد؛ لأنّ عاداً وثمود قد ذُكِرا، وقوم لوطٍ هم المؤتفكات، وقوم نوحٍ قد أشير إليهم قي قوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾[١١: الحاقة])(٢٦).

٤- وفي قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ{٢٢} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ {٢٣} وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ{٢٤} تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾[٢٢-٢٥: القيامة]، هذه مقابلةٌ بين الوجوه التي هي الأعضاء، فوجوهٌ تظهر عليها النضرة، ووجوهٌ يظهر عليها البسْر، وهو: (تقطيب الوجه وعبوسته من

الكراهة)(٢٧)، وهذه المقابلة تمنع حمل كلمة الوجه على معنى السعداء وأهل الوجاهة، قال الرازي: (قيل: إنّ المراد بالوجوه هنا: السعداء وأهل الوجاهة يوم القيامة، لا الوجه الذي هو العضو، ولا أرى هذا الجواب مطابقاً لقوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾[٢٤: القيامة]؛ لأنّ العبوس والقطوب إنما يوصف به الوجه الذي هو العضو، ومما يؤيد هذا أن المراد بقوله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾[٢٢: القيامة]؛ الأعضاء المعروفة قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾[٢٤: المطففين])(٢٨).

٥- وفي قوله تعالى:﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [١٣: الإنسان].

اختلف المفسرون في معنى (زمهريراً)، فذهب بعضهم إلى أن المعنى: البرد، وذهب بعضهم إلى أنه القمر، وهو على لغة طيء(٢٩).

وفي حقيقة الأمر: من ذهب إلى أن معنى (زمهريراً) هو البرد، اتجه إلى اللازم من كلمة (زمهريراً)، فلازم الشمس وجود الحرارة، ولازم القمر وجود الليل الذي يلزم منه وجود البرودة.

ومن ذهب إلى أنه القمر أخذ المعنى مباشرةً من مقابلة جرم الشمس بجرم القمر، حيث يكثر ورود التقابل بينهما في القرآن الكريم.

وبناءً على كون الزمهرير: القمر، فإن المعنى هو أن هواء الجنة مضيءٌ بذاته لا يحتاج إلى شمسٍ في النهار، ولا إلى قمرٍ في الليل، فالضوء دائمٌ.

وإذا كان المراد البرودة، فالمعنى: أن هذا إخبارٌ عن حالة الهواء، فهو هواءٌ معتدلٌ لا حرارة ترفع درجته، ولا بردٌ يؤثر في اعتداله.

وهذا المعنى هو الأقرب أخذاً باللازم من وجود الشمس والقمر، قال البيضاوي: (والمعنى: أنه يمر عليهم فيها هواءٌ معتدلٌ لا حارٌ محمٍ ولا باردٌ مؤذٍ، وقيل: الزمهرير: القمر في لغة طيءٍ، قال راجزهم:

وليلةٍ ظلامها قد اعتكر
قَطَعْتُها والزمهرير ما زَهَرْ

والمعنى: أن هواءها مضيءٌ بذاته لا يحتاج إلى شمسٍ وقمرٍ)(٣٠).

٦- ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾[٣١: عبس]، في هذه الآية مقابلةٌ بالنوع، وإن لم يعين معنى الأب على وجه التحديد، إلا أنه يعرف بجهة المقابلة أنه نوع مأكولٍ لغير الآدمي، انظر إلى قوله تعالى:﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ{٢٤} أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا{٢٥} ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا{٢٦} فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا{٢٧} وَعِنَبًا وَقَضْبًا{٢٨} وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً{٢٩} وَحَدَائِقَ غُلْبًا{٣٠} وَفَاكِهَةً وَأَبًّا{٣١} مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [٢٤-٣٢: عبس].

فالمعلوم أن الحبَّ للآدمي وغيره، والعنب للآدمي، والقضب: هو "علف الدواب الرطب"(٣١)، والحدائق والفاكهة له، والأبّ لغيره، فالمقابلة إذن أعانت على فكِّ المعنى، قال البيضاوي: (﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾: ومرعى، من أبّ إذا أمَّ؛ لأنه يؤم وينتجع، أو من أبّ لكذا؛ إذا تهيأ له؛ لأنه متهيئٌ للرعي أو فاكهةً يابسةً تؤوب للشتاء ﴿مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[٣٢: عبس] فإن الأنواع المذكورة بعضها طعامٌ، وبعضها علفٌ)(٣٢).

وقيل: (هو المرعى الذي تزرعه الناس مما تأكله الدواب والأنعام، وقيل: التبن، وعليه فالمغايرة بينه وبين القضب ظاهرةٌ)(٣٣).

فالمقابلة إذن بين مأكول الآدمي ومأكول غير الآدمي، وبذلك يعرف أن الأبَّ مأكولٌ لغير الآدمي، وإن لم يعَّين معناه على وجه التحديد.

وعلى هذا، فإن أسلوب المقابلة يعوّل عليه في فهم الألفاظ القرآنية وترجيح المعاني في أقوال العلماء والمفسرين.

وقد نص الزركشي على أهمية المقابلة في تفسير الألفاظ وبيان المعنى، حيث قال: (واعلم أن في تقابل المعاني باباً عظيماً يحتاج إلى فضل تأمّلٍ، وهو يتصل غالباً بالفواصل، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ{١١} أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾[١١-١٢: البقرة]. وقوله

تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾[١٣: البقرة]، إلى قوله تعالى: ﴿لاَّ يَعْلَمُونَ﴾[١٣: البقرة]. فانظر فاصلة الثانية (يعلمون) والتي قبلها (يشعرون)؛ لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين يجتمعون وهم مطيعون يحتاج إلى نظرٍ واستدلالٍ، حتى يكسب الناظر المعرفة والعلم، وإنما النفاق وما فيه من الفتنة والفساد أمرٌ دنيويٌ مبنيٌ على العادات معلومٌ عند الناس، فلذلك قال فيه ﴿لاَّ يَعْلَمُونَ﴾، وأيضاً فإنه لما ذكر السّفه في الآية الأخرى(٣٤). -وهو جهلٌ- كان ذكر العلم طباقاً، وعلى هذا تجيء فواصل القرآن)(٣٥).

١- المبحث الثاني: المقابلة في سورة الرحمن

٢- المطلب الأول: المقابلة بين الآيات الكونية

-﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[٥: الرحمن].

في هذه الآية مقابلةٌ بين نوعين مختلفين في الجِرْم والحجم والطبيعة، فهي مقابلةٌ نظيريةٌ (بين نظيرين)، فالشمس كتلةٌ ملتهبةٌ، والقمر صخرٌ جامدٌ، والشمس بحرارتها ونشاطها، والقمر ببروده وهدوئه، وتلك مؤثرةٌ وهذا متأثرٌ بها، وعلى هذا فإن هذه المقابلة توحي بالعلاقة بين الأثر والمتأثر، وهذه المقابلة تناسب الآيات التي قبلها: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ {٢} خَلَقَ الْإِنسَانَ {٣} عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[٢-٤: الرحمن]؛ فالإنسان محلٌ قابلٌ لأثر القرآن، وهذه علاقة المثير والاستجابة، فأصل النعم ومفيضها هو الله -تعالى-، وأعلى هذه النعم نور القرآن، ثم خلق النوع الإنساني وتفرّعت عنه خاصية البيان.

ولا شك أن المقابلة بين الشمس والقمر- زيادةً على ما سبق- فيها نوعٌ من التبعية المتفرعة عن علاقة الأصل بالفرع، فالقمر يدور حيث تدور الشمس، وهو من ورائها، وكذلك الإنسان ينبغي أن يكون تابعاً لأنوار القرآن يدور حيث تدور.

- ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[٦: الرحمن].

إن حملنا المعنى على أن النجم: هو النبت الذي لا ساق له، تكون المقابلة بين نوعين من جنسٍ واحدٍ؛ إذ المقابلة بين نبتٍ لا ساق له ونبتٍ يحمله ساق، فتكون مقابلة النوع هنا روعي فيها التسلسل في صنع الأشياء من الأصغر إلى الأكبر، إذ يشار فيها إلى البداية في النشأة، ثم إلى النهاية، فالشجر نفسه يبدأ نجماً ثم ينتهي إلى أحجامٍ مختلفةٍ قائمةٍ على سوق، فهذه صورةٌ لأوّل النَّبت وآخره.

وقد ذهب كثيرٌ من المفسرين إلى أن النجم: هو النَّبت الذي لا ساق له، وقد نظر الزمخشري إلى وجه التناسب في المقابلة بين قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[٥: الرحمن]، وبين قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[٦: الرحمن]، فقال: (إنّ الشمس والقمر سماويان، والنجم والشجر أرضيان، فبين القبيلين تناسبٌ من حيث التقابل، وأن السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين، وأن جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله -تعالى-، فهو مناسبٌ لسجود النجم والقمر)(٣٦).

وقال السيوطي: (إن النجم يطلق على الكوكب، ويرشّحه له ذكر الشمس والقمر، وعلى ما لا ساق له من النبات، وهو المعنى البعيد له، وهو المقصود في الآية)(٣٧).

ويظهر التناسب في المقابلة واضحاً بين النجم والشجر على هذا المعنى.

بيد أنّا إذا حملنا النجم على أنه جنس النجوم، فإن المناسبة تدق، وتحتاج إلى تأملٍ أكثر، وهذا الرأي أميل إليه وأرجّحه لما يأتي:

أ- أن الآية: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[٦: الرحمن]، بدأت بالأكبر حجماً والأصل في الإضاءة، والآية التي بعد ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[٦: الرحمن]، هي ﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾[٧: الرحمن]، حيث بدأ بالسماء قبل الأرض، أي إنه بدأ بالأكبر والأعلى، فالأظهر إذن أن النجم هنا: هو جنس النجوم، لا النبات الذي لا ساق له، من جهة أن الأعظم جرماً، والأضخم حجماً يقَدَّم هنا على ما دونه.

ب- ورد في القرآن الكريم أن النجم هو جنس النجوم من نحو قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [١: النجم]،

و﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾[٣: الطارق].

ج- النجم على هذا المعنى: هو ما يتبادر إلى الذهن عند إطلاقه، والتبادر أمارة الحقيقة، فإذا أطلق النجم ينصرف الذهن مباشرةً إلى تلك الأجرام السماوية من غير محاولةٍ لصرف هذا اللفظ عن ما وضع له.

وإذا كان هذا هو الرأي، فكيف ينظر إلى وجه المقابلة بين هذا النجم المعروف أو جنس النجوم وبين الشجر؟ والجواب: أنه بإمعان النظر تظهر بفضل الله -تعالى- مناسبتان دقيقتان:

أ. نعلم أن النجم جمادٌ لا حياة فيه، وأن الشجر فيه حياةٌ، وعلى هذا فإن المقابلة هنا بين جمادٍ لا حياة فيه يقترن مع ما به الحياة، ليسجدا معاً لله -تعالى- واهب الحياة.

ب. مما هو معروفٌ أيضاً: أن النجوم سريعة الدّوران، وهي متحركةٌ على الدوام حركةً لا تهدأ، وهي تتحرك ساجدةً، وأن الشجر ثابتٌ لا يتحرك إلا حركةً موضعيّةً هادئةً، وهو ساجدٌ ثابتاً، وعلى هذا: جمعت الآية في هذه المقابلة بين المتحرّكات والثوابت، إعلاماً بأن الكل يسجد لله -تعالى-، هذا بحركته الدؤوبة، وهذا بهدوئه وسكونه، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[١٣: الأنعام]، أي؛ وله ما سكن وما لم يسكن، والكل منقادٌ لله- تعالى-.

وقد بيّن التفتازاني أنّ هذا من باب مراعاة النظير فقال: (ويلحق بمراعاة النظير أن يجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان نحو ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[٦: الرحمن]. أي النبات الذي ينجم، أي يظهر من الأرض لا ساق له كالبقول، والشجر الذي له ساق، (يسجدان) أي ينقادان إلى الله -تعالى- فيما خلقا له، فالنجم بهذا المعنى وإن لم يكن مناسباً للشمس والقمر قد يكون بمعنى الكوكب، وهو مناسبٌ لهما، ولهذا يسمى إيهام التناسب)(٣٨).

وقال الهاشمي: (ويلحق بمراعاة النظير ما بني على المناسبة في اللفظ باعتبار معنىً له غير المعنى المقصود نحو ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ{٥} وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[٥-٦: الرحمن]، فإن المراد بالنجم هنا النبات، فلا يناسب الشمس والقمر، ولكن لفظه يناسبهما باعتبار دلالته على الكواكب)(٣٩).

- ﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾[٧: الرحمن].

هذه مقابلةٌ بين لفظٍ ولفظٍ، فالرفع: ضدّ الوضع، وهذه المقابلة بين لفظين من حيث الصورة؛ إذا كان الوضع هنا بمعنى النّصب، حيث نصب الميزان في السماء، وعلى هذا يكون معنى الميزان: ما يكون به العدل. وقد تكون هذه مقابلةً ضدّيةً؛ فرفع السماء يقابله خفض الميزان في الأرض، فالمقابلة بين ما هو علويٌّ وما هو سفليٌّ، فالقيم في السماء حيث العدل الإلهي، والميزان: الذي هو الآلة للمكاييل والوزن يرمز إلى العدل في الأشياء، يقابله العدل المنشود في الأرض، وبذلك تقوم السموات والأرض.

﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ {٨} وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[٨-٩: الرحمن].

هذه المقابلة ثلاثيةٌ من حيث العدد، حيث تلحظ مقابلةً بين طرفين ووسطٍ: إفراطٍ ووسطٍ، وتفريطٍ، ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾: هذا إفراطٌ في زيادة الوزن منهيٌّ عنه، ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ﴾ هذا هو الوسط المطلوب، وهو حد الاعتدال ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ هذا هو التفريط بالإنقاص في الميزان، وقد أراد الله -تعالى- للنِّسب في الحياة أن تكون متوازنةً متكافئةً، متوافقةً في وجودها: ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾[١٩: الحجر]، فالطغيان: "تجاوز الحد في المقدار"(٤٠)، وهذا ضررٌ، فهو زيادةٌ على الاستحقاق، وإسرافٌ في وضع الشيء في غير موضعه، وإذهابٌ به عن قدر الحاجة، وهذا فيه إفسادٌ؛ لأنه يؤدي إلى إنقاص حقوق الآخرين.

والخُسْر: فيه النقصان وعدم استيفاء الحقوق(٤١)، وهو ظلمٌ، ولما كان المطلوب الاتزان والقصد في الأمور كلها، أمر الله -تعالى- بإقامة الوزن على ما يقتضيه العدل والحق، وهذا ينسحب على المكاييل

والمقادير والأقوال والأفعال، وقد أرشد القرآن إلى ذلك، حيث قال تعالى:﴿وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾[٣٥: الإسراء].

وهنا يتّجه سؤالٌ: في هذه الآيات نهى الله –تعالى- عن الطغيان في الوزن أولاً، ثم نبَّه إلى إقامة الوزن بالقسط، ثم نهى عن الخسران في الوزن، إلا أنه في سورة الشعراء أمر بإيفاء الكيل وعدم الخسران، ثم نبّه إلى الوزن بالقسطاس المستقيم، ثم نهى عن بخس الناس أشياءهم، قال الله تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ{١٨١} وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ{١٨٢} وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[١٨١-١٨٣: الشعراء] فما السر في ذلك؟.

والجواب: أن الأمر في سورة الرحمن عامٌّ لجميع الخلق، فقدّم النهي عن الطغيان في الوزن، لينبّه على أن الأصل أن يكون الميزان على المقدار فلا يزاد عليه.

أما في سورة الشعراء، فالخطاب إلى قومٍ بعينهم -وهم قوم شعيبٍ -عليه الصلاة والسلام-، حيث كان من شأنهم عدم الوفاء بالكيل بإنقاصه، فقدّم الأهمّ والمناسب لأحوالهم، فأمرهم بما هو أهمُّ وأولى لهم، وهو الوفاء بعدم الإنقاص والإخسار، ثم وجههم إلى الطريقة المثلى لضبط ذلك، وهي: الوزن بالقسطاس المستقيم، ثم ذكر عيباً آخر من عيوبهم، وهو الغَضُّ من قيمة الشيء بالغبن ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ﴾؛ لأن هذا إفسادٌ في الأرض ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

- ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[١٠: الرحمن].

يُلاحظ هنا أن الأرض تقابل السماء، والمقابلة بين علوٍّ وسفلٍ، والمقابلة بين آية ﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾[٧: الرحمن] وهذه الآية مقابلة اثنين باثنين من حيث العدد، فالسماء تقابلها الأرض، والرفع يقابله الوضع، وهي مقابلةٌ نقيضيةٌ من حيث المعنى. وليس هناك بين السماء والأرض مقارنةٌ على الإطلاق، لا من حيث الخصائص، ولا من حيث البنية والتركيب، إلا أن الله -تعالى- شاء أن تكون مواد الحياة وعناصرها منتشرةً في هذا الكوكب الصغير.

وإذا عدنا إلى أول السورة نلحظ أن قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾[٢: الرحمن]، يشير إلى إعلاء شأن الروح بأنوار القرآن، وقابل ذلك بخلق الإنسان: الجسد والطين؛ ليرقى هذا الجسد بما فيه من قابلية الارتقاء، فيحصل للإنسان التوازن بين الروح والجسد، وكذلك هنا قابل بين السماء وهي مصدر الأنوار العلويّة التي تمدّ الأرواح بزادها، والأرض التي تلتصق الأجساد بطينها وترابها، لتمدّه بشؤون تعيّشه وزاده الماديّ.

- ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ {١١} وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ {١٢} فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[١١-١٣: الرحمن].

في هذه الآيات:

- مقابلةٌ بين الأنواع في الجنس الواحد، وهي مقابلةٌ نظيريّةٌ بين النظائر التي هي من بابٍ واحدٍ؛ فهي بين الفاكهة والنَّخل، الفاكهة تؤكل ولها رائحةٌ، والنخيل يؤكل ولا رائحة له، وكذلك الفاكهة لأغراض التفكّة والتنعّم، والنخل لأغراض الغذاء والعيش، وعلى هذا، فقد جمعت هذه المقابلة بين أصلين: التنعّم في الحياة، وما تقوم به الحياة.

وهي مقابلةٌ بين مأكول الإنسان ومأكول الأنعام المتمثل بالحب ذي العصف؛ "أي التّبن"(٤٢)، وهذا يرجّح أن المقصود بكلمة (الأبّ) في قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبّاً﴾[٣١: عبس]: ما يكون غذاءً للأنعام دون الناس.

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى:﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾[١٢: الرحمن]. تصبح المقابلة ثلاثيةً في الآيات: بين مأكولٍ للآدمي للتنعّم، وما به قوام الحياة، ومأكولٍ لغير الآدمي، ومشمومٍ غير معدٍّ للأكل خارجٍ عن نظام الغذاء، لتبتهج به النفوس، وتستروح له الأرواح، فالنِّعم للجسد والروح.

وقد ذكر أبو حيان وجه التناسب بين المتقابلات المشار إليها، وسر ترتيبها على النحو الوارد، حيث

قال: (بدأ بالفاكهة؛ إذ هو من باب الابتداء بالأدنى، والترقي إلى الأعلى، ونكّر لفظها؛ لأن الانتفاع بما يذكر بعدها، ثم ثنّى بالنخل، فذكر الأصل، ولم يذكر ثمرتها، وهو الثمر لكثرة الانتفاع بها، من ليفٍ وسعفٍ وجريدٍ وجذوعٍ وجمارٍ وثمرٍ، ثم ثنّى ثالثاً بالحب الذي هو قوام عيش الإنسان في أكثر الأقاليم، وهو البر والشعير، وكل ما له سنبلٌ وأوراقٌ متشعّبةٌ على ساقه، ووصفه بقوله (ذو العصف)؛ تنبيهاً على إنعامه عليهم بما يقوتهم من الحب، ويقوت بهائمهم من ورقه الذي هو التبن، وبدأ بالفاكهة وختم بالمشموم، وبينهما النخل والحب ليحصل ما به يتفكّه وما به يتقوّت، وما به تقع اللذاذة من الرائحة الطيبة، وذكر النخل باسمها والفاكهة دون شجرها؛ لعظم المنفعة بالنخل من جهاتٍ متعددةٍ، وشجرة الفاكهة بالنسبة إلى ثمرتها حقيرةٌ، فنصّ على ما يعظم الانتفاع به من شجرة النخيل ومن الفاكهة دون شجرتها)(٤٣).

والمقابلة عند أبي حيان جاءت على سبيل الترقي من الأدنى إلى الأعلى، وعلى هذه المقابلة: فإن تفسير الريحان بالمشموم أولى وأقوى من تفسيره بالرّزق على ما ذهب إليه بعض المفسّرين(٤٤).

وقد علّق البقاعي على مجيء الريحان بعد الحديث عن الحبِّ والفاكهة فقال: (ولما كان الريحان يطلق على كل نبتٍ طيب الرائحة خصوصاً، وعلى كل نبتٍ عموماً، أتبعه به؛ ليعم ويخص جميع ما ذكر من سائر النبات وغيره، على وجهٍ مذكّرٍ بنعمه بغذاء الأرواح بعد ما ذكر غذاء الأشباح)(٤٥).

والحاصل أن هذه المقابلة بين الأنواع الجارية على سبيل الترقِّي من الأدنى إلى الأعلى تدل على تنويع المنافع، وهي داخلةٌ في دائرة تفصيل تلك المنافع، ولأن المنافع لا تقوم بنوعٍ واحدٍ، بل تقتضي المغايرة في الأنواع وتعددها، لاشتمال كل نوعٍ على فوائد يختلف فيها عن الآخر، ويستقل بها، فالتنوُّعُ سنَّةٌ في الحياة.

- ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾[١٧: الرحمن].

هنا مقابلةٌ بين ضدّين من حيث المكان والجهة: مشرقي الصيف والشتاء، ومغربي الصيف والشتاء.

وقد رأينا -فيما سبق- المقابلة بين العلوّ والسفل في (السماء والأرض)، وهذه المقابلة متفرّعةٌ عن أصلٍ سبق ذكره ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[٥: الرحمن]، حيث يأتي هنا تفصيل لبعض الإجمال في كلمة (بحسبان)، فالمشرقان والمغربان هنا أصلان لجميع المشارق والمغارب الوارد ذكرها في قوله تعالى:﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾[٤٠: المعارج].

وهنا ذكر التثنية لتحديد أصول الجهات، وأنّ التوزيع في المشارق والمغارب بحسب حركة الشمس والقمر لا يخرج عن هذين المشرقين والمغربين، وهما ضدّان يترجمان حركة الزمان الناشئة عن جريان الشمس والقمر بحسبان، وعلى هذا فالحياة تقوم بحركة الأضداد، وهذا من لطف الله -تعالى- وحكمته وقدرته.

ويذهب بعض العلماء إلى أن المعنى: (مشرقا الشمس ومغرباها)(٤٦)، وهذا في الحقيقة لا يخرج عن المعنى اللازم للإشراق والغروب من حيث التثنية، فمحصله: مشرق الشمس في الشتاء، ومشرقها في الصيف، ومغربها في الشتاء، ومغربها في الصيف، وكذلك القمر، فلا تعارض، وهذا مرتبطٌ بأصول النعم السابقة؛ لضرورته لأنواع الفاكهة والأغذية والأشجار؛ فمنها ما يطيب ثمره في الصيف، ومنها ما يناسبه الشتاء، وهذا يعزّز- بأسلوب المقابلة- أن المراد بالمشرقين والمغربين: مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما.

- ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ{١٩} بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[١٩-٢٠: الرحمن].

قال الرازي-في تعلق الآية بما قبلها-: (لما ذكر تعالى المشرق والمغرب وهما حركتان في الفلك، ناسب ذلك ذكر البحرين؛ لأن الشمس والقمر يجريان في الفلك كما يجري الإنسان في البحر، قال تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٤٠: يس] فذكر البحرين عقيب

المشرقين والمغربين، ولأنّ المشرقين والمغربين فيهما إشارةٌ إلى البحر لانحصار البر والبحر بين المشرق والمغرب، لكن البر كان مذكوراً بقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[١٠: الرحمن] فذكر منها ما لم يكن مذكوراً)(٤٧).

هذه الآية تشير إلى نوعين مختلفين من البحار، وهذا ما كشف عنه القرآن في موضعٍ آخر، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [٥٣: الفرقان] وقد بين المفسرون أن هذين البحرين هما: البحر العذب والبحر الفرات، قال البيضاوي: ((مرج البحرين) أرسلهما من مرجتُ الدابة، إذا أرسلتها، والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب (يلتقيان) يتجاوران ويتماس سطوحهما، أو بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط؛ لأنهما خليجان يتشعبان منه (بينهما برزخٌ) حاجزٌ من قدرة الله أو من الأرض (لا يبغيان) لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصية، أو لا يتجاوزان حديهما بإغراق ما بينهما)(٤٨)، فالمقابلة بين ضدين مختلفين في الخواص والكثافة وغير ذلك، على وجهٍ لا يجتمعان البتة.

والمقابلة بين هذين النوعين المتضادين متفرعةٌ عن الحديث عن المشرقين والمغربين؛ لأن حركة الشمس والقمر لها أثرٌ في حركة البحار والمحيطات وحركة الرياح، المؤثرة فيها بإحداث التيارات الباردة والحارة، وتكوين الأمواج والمد والجزر، وحركة الكائنات وطبيعة تنوعها نتيجةً لذلك.

ومن تمام المقابلة بين البحرين المتجاورين، مع تمام الفصل بينهما بالبرزخ الحاجز المانع للاختلاط بين الخصائص في كلٍ، وما سبق الحديث عنه من المشرقين والمغربين: أن هناك تشابهاً في الصورة التي يتلاقى فيها المشرق مع المغرب، فكلٌ يتخلّص من الآخر دون الدخول فيه، ويدخل في حيّزه دون التمازج فيه، فكأن كل شيءٍ له حدٌ يقف عنده، لا يتخطاه، لتستقيم الحياة، ولا يحدث اضطرابٌ في الكون أو خلطٌ فيه، فالضدّ يعين ضدّه على سير الحياة، وبضدّها تتميّز الأشياء.

- ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[٢٢: الرحمن].

هنا مقابلةٌ بين الأنواع، فهي مقابلةٌ بين نظيرين، حيث قابل القرآن بين نوعين من الجواهر لكلٍ قيمته في الزّينة والحليّ.

قال في نظم الدرر: (اللؤلؤ: هو الدر، الذي هو في غاية البياض والإشراق والصفاء، (والمرجان) أي القضبان الحمر(٤٩)، التي هي في غاية الحمرة، فسبحان من غاير بينهما في اللون والمنافع والكون، نقل هذا القول ابن عطيّة(٥٠)، وقال: وهذا هو المشهور في الاستعمال، انتهى)(٥١).

وعلى هذا، فاللؤلؤ والمرجان: هما أنقى الحليّ، ولا يمنع خروج غيرهما من ملتقى البحرين.

بيد أن كثيراً من المفسرين ذهب إلى أن (اللؤلؤ: كبار الدرّ، والمرجان: صغاره)(٥٢).

فالمقابلة على هذا الرأي مقابلةٌ في الحجم للنّوع الواحد، وفي هذا تنويعٌ للمنافع والأغراض في النوع الواحد.

إلا أنّ الذي يترجّح لديّ بالنظر إلى المقابلة أن المقصود باللؤلؤ: هو الدر المعروف، والمرجان: الخرز الأحمر؛ لغلبة استعماله في ذلك؛ ولأن السياق في المقابلات بين الأنواع المختلفة، فنوع اللؤلؤ يختلف عن نوع المرجان، فكلٌ له نفعه وغايته، وكلٌ نوعٍ فيه كباره وصغاره، وهذا يدلّ على أن في البحار أنواعٌ متخالفةٌ من الجواهر، أصفاها: اللؤلؤ والمرجان.

المطلب الثاني: المقابلة بين الآيات الأنفسية

- ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ{١٤} وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[١٤-١٥: الرحمن].

في هاتين الآيتين مقابلة اثنين باثنين:

أ. مقابلةٌ بين جنسين مختلفين (جنس الإنسان وجنس الجان) وهي مقابلةٌ ضدّيةٌ.

ب. مقابلةٌ بين عناصر ومادّة (أصول الطبائع) بين الصلصال والنار، وهي مقابلةٌ ضدّيةٌ كذلك.

وهذا يشكّل مقابلةً في الطبائع، فالإنسان فيه البرودة واليبوسة والهدوء، وهذا يناسب الحديث عن الأرض قبله، حيث إن الأرض هي ألصق ما يكون خلق الإنسان منها؛ لأنها عنصره وتربته، وجاء القرآن بكلمة (صلصال) دون غيرها من الحمأ المسنون أو الطين؛ لأنها تناسب صلابة الأرض واستقرارها، قال الجمل في الفتوحات الإلهية: (المذكور هنا آخر تخليقه، وهو أنسب بالرحمانية، وفي غيرها: تارةً مبدؤه، وتارةً أثناؤه، فالأرض أمه، والماء أبوه، ممزوجان بالهواء الكامل للحرّ الذي هو من فيح جهنم، فمن التراب جسده ونفسه، ومن الماء روحه وعقله، ومن النار مطلب غوايته وحدته، ومن الهواء حركته وتقلبه في محامده ومذامِّه، والغالب في جبلَّته التراب، فلذا نُسِبَ إليه، وإن كان خلقه من العناصر الأربع، كما أن الجانّ خلق من العناصر الأربع، ولكن الغالب في جبلَّته النار، فنسب إليها، كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[١٥: الرحمن])(٥٣).

وقد تقدم في المقابلة خلق الإنسان على خلق الجان الذي فيه الحرارة والثوران والتأجج والحركة السريعة، وقد ألمح أبو حيّان إلى شيءٍ من المناسبة بين خلق الإنس والجن وذكر الأرض قبل ذلك، فقال: (لما ذكر العالم الأكبر من السماء والأرض وما أوجد فيها من النعم، ذكر مبدأ من خلقت له هذه النِّعم)(٥٤).

والذي يظهر أن خلق الإنسان من مادة الصلصال أقرب مناسبةً للحديث عن الأرض التي تخرج مادة الصلصال منها، فتقدم ذكر خلق الإنس على خلق الجان.

ومادة الصلصال مادةٌ تقابل مادة النار، فهي مقابلةٌ بالضدّ، وبتضاد العناصر تتضاد الأجناس المكوّنة منها.

وعلى هذا، فإنّ ما سبق هو نِعَمٌ تمس الإنسان والجانَّ، وهي واصلةٌ إليهم تستدعي الشكران، قال أبو السعود: (﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[١٤: الرحمن]، تمهيدٌ للتوبيخ على إخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحدٍ من الثقلين)(٥٥).

إذن فنعمة الخلق والوجود من حقها أن تدفعهم للشكر، وفيها مزيد منّةٍ عليهم من الخالق سبحانه؛ إذ أوجد عناصر الخلق ونوّعها.

المطلب الثالث: المقابلة بين الصفات الإلهية

﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٢٧: الرحمن]

هنا بحث من جهتين:

أ. المقابلة بين الوصف بالجلال والوصف بالإكرام.

ب. سر ذكر هاتين الصفتين عقب الحديث عن إنعام الله -تعالى- في الدنيا، وإنعامه- سبحانه- في الآخرة على عباده الصالحين.

فمعنى ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ أي: (ذو الاستغناء المطلق والفضل العام) (٥٦).

وقال البقاعي: ((ذو الجلال)، أي العظمة التي لا ترام، وهي صفة ذاته التي تقتضي إجلاله عن كل ما لا يليق، و(الإكرام) الإحسان العام، وهو صفة فعله)(٥٧).

فالعظمة والقوة والاستغناء المطلق المتمثل في (الجلال) وهي الصفةُ الذاتيةُ لله -تعالى- تقابل الإحسان والفضل العامَّ المتمثل في (الإكرام) وهي صفةٌ فعليّةٌ لله -تعالى-، وهذا يناسب النِّعم السابقة وأصولها؛ لأنها محض إحسان، ومحض تفضّلٍ وإكرامٍ، وهذا يدل على عظمة الخالق المنان-سبحانه-، فكأنّها منزّلةٌ منزلة التعليل لما سبق ذكره، أي صنع ما صنع إحساناً وتفضلاً منه، والإحسان والفضل دالان على عظمته وبقائه بعد فناء خلقه؛ لاستغنائه المطلق عن الخلق والنّعم.

ويرى أبو السعود أن التفضل بالإنعام بإعادة الخلق بعد الفناء يشمله اللطف والإكرام، حيث يقول: (في وصفه -تعالى- بعد ذكر فناء الخلق، وبقائه -تعالى- إيذانٌ بأنه -تعالى- يفيض عليهم بعد فنائهم أيضاً آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٢٨: الرحمن]، فإن إحياءهم بالحياة الأبدية ، وإثابتهم بالنعيم المقيم أجلُّ النِّعماء

وأعظم الآلاء)(٥٨).

وأما قوله -سبحانه-: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٧٨: الرحمن]، فقد جاء عقب الحديث عن أنواع الجنان، وما أعدّ الله -تعالى- لأهل الإيمان من الثواب، قال البقاعي: (﴿ذِي الْجَلَالِ﴾ أي العظمة الباهرة، فهو المنتقم من الأعداء ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ أي الإحسان الذي لا يمكن الإحاطة به، فهو المتّصف بالجمال الأقدس لفيض الرحمة على جميع الأولياء... والوصفان الأخيران من شبه الاحتباك؛ لأنه حذف من الأول متعلّق الصفة، وهي النقمة من الأعداء، ومن الثاني أثر الإكرام وهو الرحمة للأولياء، فإثبات الصفة أولاً يدل على حذف ضدها ثانياً، وإثبات الفعل ثانياً: يدل على حذف ضده أولاً، وقال الرازي في اللوامع: كأنه يريد الاسم الذي افتتح به السورة، وانعطف آخر السورة على أولها على وجه العموم، فيشمل الإكرام بتعليم القرآن وغيره، والانتقام بإدخال النيران وغيرها، والله -سبحانه وتعالى- هو الموفق للصواب)(٥٩).

وما ذكره البقاعي هو أقرب للصواب والله -تعالى- أعلم؛ لأن الجلال -وهو العظمة- تناسب التخويف والترهيب الذي ذكره الله -تعالى- في وصف النار، فذكر صفة الجلال هنا، والإكرام هنا: الإحسان الذي يناسب الوعد ﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [٦٠: الرحمن]، وهذا يتناسب مع التنعيم والثواب، والله –تعالى- أعلم.

المطلب الرابع: المقابلة بين الآيات المتعلقة بالحديث عن الآخرة

ينبئنا الله -تعالى- في هذه السورة ببعض أحوال المعذّبين في جهنّم وأحوال النعيم في الجنة، والملاحظ هنا أن المقابلة بين أحوال أهل العذاب وبين النّعيم نفسه، وهذا يقتضي -بالضرورة- أن تذهب النفس كل مذهبٍ في تصوّر أحوال أهل النعيم من خلال وصف النعيم ذاته، وفي هذا مجالٌ رحبٌ للتصوّر الإنساني لهذا النّعيم.

الفرع الأول: المقابلة بين الآيات التي تتحدث عن أهل العذاب ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ{٣٩} فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ{٤٠} يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾[٣٩-٤١: الرحمن] في هذه الآيات الكريمة بيانٌ لأحوال أهل العذاب، حيث يصور لنا القرآن الكريم مشهدًا مخيفًا له وقعٌ شديدٌ على النفس الإنسانية، حيث يؤخذ المجرمون بنواصيهم وأقدامهم ويسحبون إلى جهنم -أعاذنا الله تعالى منها-. وهنا تظهر مقابلةٌ بين ضدّين (النّواصي والأقدام)؛ حيث قابل بين النواصي وهي "مُقدَّم الرأس"(٦٠)، وأسفل ما فيه وهو القدم، وقد قابل القرآن بينهما؛ لأن الأنفة عن قبول الحق عبّر عنها الكافر كبرياءً برفع الرأس، فموطن تكبّره سيُبدأ به بالإذلال، وكونه كان لا يسعى إلى الحق بقدميه، سيقيّد بهما نكالاً وتحقيراً، وسيجمع بين أعلاه وأدناه خزياً وتبكيتاً. قال الرازي: (يجمع ناصيتهم وقدمهم، وعلى هذا ففيه قولان: أحدهما: أن ذلك قد يكون من جانب ظهورهم، فيربط بنواصيهم أقدامهم من جانب ظهورهم، فتخرج صدورهم نتأً، والثاني: أن ذلك من جانب وجوههم فتكون رؤوسهم على ركبهم ونواصيهم في أصابع أرجلهم مربوطةً)(٦١).

والمناسبة في المقابلة بين النواصي والإقدام، أنهم ترفعّوا في الدنيا عن الحق فانخفضوا في الآخرة عن الخلق، ولأنهم لم يُعملوا عقولهم التي في رؤوسهم، فهم كالدواب التي تُربط برأسها وأقدامها. وإذا كان القرآن وصف الكفار في الدنيا بقوله -سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[٤٤: الفرقان]؛ لعدم استخدامهم عقولهم في الدنيا، فهذه صورتهم في الآخرة، حيث يعاملون معاملة الأنعام.

وعند البقاعي وجهٌ آخرٌ للمناسبة حيث يقول: ((فيؤخذ بالنواصي) أي منهم، وهي مقدمات الرؤوس، (والأقدام) بعد أن يجمع بينهما، كما أنهم كانوا يجمعون ما أمر الله- تعالى- به أن يفرّق، ويفرّقون ما أمر الله - تعالى- به أن يجمع، فيسحبون بها سحباً من كل

ساحبٍ أقامه الله -تعالى- لذلك، لا يقدرون على الامتناع بوجهٍ فيلقون في النار)(٦٢).

وتقابل السورة بين أحوال أهل العذاب ونعيم أهل الإيمان، وهذه مقابلةٌ بين ترغيبٍ وترهيبٍ، وإنما قدّم الترهيب على الترغيب؛ لأن النّعم الواردة في السورة كان الأولى أن تشكر بأداء حقوق الله -تعالى-، فكفرانها أعجب، فاقتضى العطف على ذلك ببيان عقوبة الكافر بها، والله -تعالى- أعلم.

الفرع الثاني: المقابلة بين الآيات المتعلقة بنعيم أهل الجنة ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[٤٦: الرحمن] إلى قوله تعالى:﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [٧٨: الرحمن].

في هذه الآيات مقابلةٌ بين جنّتين، وهي مقابلةٌ نظيريةٌ، ولكن أيهما أعلى رتبةً: الأوليان أم الأخريان؟

لقد جرى الخلاف بين المفسّرين في ذلك، والأكثرون على أن الجنتين الأوليين أعلى رتبةً وأرفع درجةً، وذلك باستخدام أسلوب المقابلة بين الجنتين المذكورتين أولاً، والجنتين المذكورتين آخراً، ولدى النظر في آرائهم ظهر لي تلك الاعتبارات في التفضيل بأسلوب المقابلة، وهذه الاعتبارات هي:

أ. النظر إلى اعتبار الدُّونيَّة في قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾[٦٢: الرحمن].
ب. النظر إلى التقديم في الذّكر.
ج. النظر إلى الأوصاف والمضمون.
د. النظر إلى التعقيب على ذكر كلِّ نوعٍ من الجنّات.

أ- النظر إلى اعتبار الدّونيّة: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [٦٢: الرحمن].

هنا الدُّونيّة باعتبار الوصف، لا الدُّونيّة المطلقة، ومعنى هذا: (ومن دون تينك الجنّتين الموعودتين للخائفين جنتان لمن دونهم من أصحاب اليمين)(٦٣).

وقال في البحر المحيط: (ومن دون تينك الجنّتين في المنزلة والقدر جنتان لأصحاب اليمين، والأوليان هما للسابقين)(٦٤).

وعلى هذا، فإن هذه الدُّونيّة تظهر التفاوت في الوصف والحسن لما يأتي بعد من خصائصها ومحاسنها.

ب- النظر باعتبار التقديم في الذّكر:

يرى بعض المفسرين أن تقديم ذكر الجنتين الأوليين يقوّي القول بفضلهما على المتأخرتين في الذّكر، قال السعدي: (ومجرّد تقديم الأوليين على الأخريين يدل على فضلهما)(٦٥).

غير أن هذا الرأي يمكن مناقشته؛ ذلك أن التقديم لا يستقل وحده بإظهار التفاضل؛ لأن التقديم هنا يشعر بالاهتمام، والتقديم وإن أشعر بالاهتمام فليس شرطاً أن يدل على أفضليّة المقدّم في الذّكر على غيره، ألا ترى إلى ما جاء في سورة الواقعة، حيث ذكر في صدرها بطريق التعلّي أو الترقيّ، قال الله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ{٨} وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ{٩} وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ{١٠} أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٨-١١: الواقعة]. فالسابقون ورد ذكرهم بعد أصحاب الميمنة بطريق الترقي من الأدنى إلى الأعلى. والذي ألحظه أنّ العلماء بيّنوا لمن تكون الجنتين الأوليين والجنتين الأخريين، وذلك جعلهم يقابلون بين هذه الجنات، حيث رأوا أن الأوليين للمقربين والأخريين لأصحاب اليمين، والذي يظهر أن هذا الرأي مناسبٌ يعين عليه تمام المناسبة بين سورة الرحمن وسورة الواقعة، حيث عرضت سورة الواقعة في خاتمتها لأصحاب الجزاء يوم القيامة على سبيل التدلّي، أي من الأعلى إلى الأدنى، حيث قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ{٨٨} فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ{٨٩} وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ{٩٠} فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾[٨٨-٩١: الواقعة].

فجاءت على هذا الترتيب، فمن حسن المناسبة أن تتحدث سورة الرحمن عن وصف الجنتين اللتين أعدّتا للمقربين، ثم تعطف بالحديث عن وصف الجنتين اللتين أعدتا لأصحاب اليمين، وبذلك تتلاءم السورتان وتتلاقيان في كمال المناسبة وحسن التناسق.

ج- النظر إلى اعتبار الوصف والمضمون:

إن النظر إلى أوصاف هذه الجنات يعين على المقابلة بينها، وقد أوجز الزمخشري ذلك بقوله: (فإن قلت: كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الأوليين حتى قيل: ومن دونهما؟ قلت: مدهامتان دون ذواتا أفنانٍ، ونضّاختان دون تجريان، وفاكهةٌ دون كلِّ فاكهةٍ، وكذلك صفة الحور والمتكأ)(٦٦).

هنا يقابل الزمخشري بين أوصاف الأوليين والأخريين، فيظهر له بالمقابلة فضل الأوليين على الأخريين، وهنا أعجب لأبي حيان حين رأى أن الزمخشري رجّح فضل الأخريين على الأوليين، حيث قال: (والمؤخرتا الذكر أفضل من الأوليين، يدل على ذلك أنه وصف عيني هاتين بالنّضخ وتينك بالجري فقط، وهاتين بالدّهمة من شدة النّعمة، وتينك بالأفنان، وكلُّ جنّةٍ ذات أفنانٍ، ورجح الزمخشري هذا القول فقال: للمقربين جنتان من دونهم أصحاب اليمين، ادهامّتا من شدة الخضرة، ورجح غيره القول الأول)(٦٧).

وقد ظهر لنا رأي الزمخشري في فضل الأوليين على الأخريين -على ما رأيت-، وإذا نظرنا إلى أوصاف الجنتين الأوليين في مقابلة الجنتين الأخريين، نلحظ كما يذهب العلماء -إلى أن المذكورتين أولاً أعلى رتبةً لما يأتي:

أولاً: الجنتان الأوليان ذواتا أفنانٍ؛ فهي أغصانٌ وارفةٌ ذات ظلٍّ ظليلٍ، يغلب عليها الفاكهة والشجر الوارف الظل، في حين أن الجنتين الأخريين يغلب عليهما الرياحين.

قال البيضاوي: (﴿ذواتا أفنان﴾ أنواعٌ من الشجر، وتخصيصها بالذكر؛ لأنها التي تورق وتثمر وتمد الظل)(٦٨)، وقال في تفسير (مدهامتان): (خضراوان تضربان إلى السواد من شدة الخضرة، وفيه إشعارٌ بأن الغالب على هاتين الجنتين النّبات والرّياحين المنبسطة على وجه الأرض، وعلى الأوليين الأشجار والفواكه، دلالةً على ما بينهما من التفاوت)(٦٩). وقال الكازروني: (والانبساط على وجه الأرض يوجب زيادة الخضرة في النظر)(٧٠).

ثانياً:﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾[٥٢: الرحمن]، أي (صنفان: غريبٌ، ومعروفٌ، أو رطبٌ ويابسٌ)(٧١). وهذا يقابل ما في الجنتين الأُخريين: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[٦٨: الرحمن].

قال الزمخشري: (وفاكهةٌ دون كل فاكهةٍ)(٧٢).

يقصد أن الفاكهة في الجنتين الأوليين تعم جميع الأصناف بخلاف الثانية؛ حيث تفيد فاكهةً معينّةً بحكم كونها نكرةً، غير أن كلام الزمخشري هنا فيه نظرٌ؛ لأن النكرة في (فيهما فاكهةٌ) تفيد العموم أيضاً، وهي من خلال السياق تفيد التكثير والتنويع كذلك، فتفضيل الجنتين الأوليين على الأخريين لا يكون من خلال هذه الآية، فما في هذه ليس ما في تلك، وما في تلك ليس ما في هذه، فكلٌ له خصوصيته في الثمر هنا.

ثالثاً: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾[٥٠: الرحمن]، من المعلوم أن الجري للماء أقوى من النضخ الذي هو فوران الماء(٧٣)،﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾[٦٦: الرحمن]، فوّارتان بالماء، (وهو أيضاً أقل ممّا وصف به الأوليين وكذا ما بعده)(٧٤). وقال الكازروني: (لأنه يمكن أن تكون العين فوّارةً لكن لا تجري كالقدر المغلي)(٧٥).

والنضخ أقوى من النضح، قال ابن جنّي: (النضح للماء الخفيف، والنضخ للماء القوي، قال تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾[٦٦: الرحمن]، فاختيرت الحاء لرقتها للقليل من الماء، واختيرت الخاء لغلظتها للكثير منه)(٧٦).

ولا شك أن الجريان فيه دفعٌ وقوّةٌ؛ إذ ينبسط الماء فيه ويذهب إلى مساحاتٍ واسعةٍ من الجنتين، أما في الأخريين فيدل خروج الماء بقوّة (النضخ) على أن هذا الماء ينبع لا ينقطع، ففيه تطمينٌ للنفس الإنسانية بسعة الجود وعظيم الامتنان.

رابعاً: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾[٥٤: الرحمن].

(أصحاب هذه الجنة متكئين على ديباجٍ ثخينٍ قريبٍ يناله القاعد والمضطجع)(٧٧). وهذا في مقابلة ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾[٧٦: الرحمن] (والفرش المعدّة للاتكاء أفضل، والعبقري: الوشي، والديباج أعلى منه)(٧٨).

(والعبقري عن العرب: كل ثوبٍ موشىً)(٧٩).

والرفرف: (ثيابٌ ناعمةٌ وفرشٌ رقيقةٌ النّسيج من الدّيباج ليّنةٌ، ووسائد عظيمةٌ، وبسطٌ لها أطرافٌ فاضلةٌ)(٨٠).

وهنا يُلحظ أن الوصف في الجنتين الأوليين في الاتكاء أخذ منحىً آخر في التشويق، وذلك أنه تحدّث عن بطائن تلك الفرش، فما بالنا بظاهرها، وكأن الآية تحمل مقابلةً ضمنيةً بين باطنٍ بديعٍ، وظاهرٍ تستشرف النفس إلى رؤيته وتصوّره، ولا شك أن ذلك ادعى إلى تعزيز أفضليّة هاتين الجنتين على المتأخرتين في الذكر.

خامساً: وصف الحوريات ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾[٥٦: الرحمن]، ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾[٥٨: الرحمن] في مقابل ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ{٧٠} فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ{٧١} حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[٧٠-٧٢: الرحمن].

قال الرازي: (وهذا التشبيه فيه وجهان: أحدهما تشبيهٌ بصفائهما، وثانيهما بحسن بياض اللؤلؤ وحمرة الياقوت، والمرجان: صغار اللؤلؤ، وهي أشد بياضاً وضياءً من الكبار بكثيرٍ)(٨١).

(والمشبه بالياقوت والمرجان أفضل في الوصف من خيراتٍ حسانٍ)(٨٢).

هنا يلاحظ القدر المشترك بين حور الجنتين الأوليين والأخريين، فكلاهما في الحسن غايةٌ، لم يطمثهن إنسٌ ولا جنيٌ، إلا أن الجمال درجاتٌ، فما شبه بالياقوت والمرجان أعلى درجةً في الجمال مما وصف بأنه خيراتٌ حسانٌ (وليس كل حسنٍ كحسن الياقوت والمرجان)(٨٣)، وحور الأوليين قاصرات الطرف على أزواجهنَّ، وكذلك حور الجنتين الأخريين، لكن حور الأخريين مقصوراتٌ في الخيام، وعلى هذا يبدو -والله تعالى أعلم- أن الحور العين في الأوليين في قصورٍ وليس في الخيام؛ لأن الذي يقابل الخيام القصور، والذي يعين على ذلك: أن ذكر هاتين الجنتين بُنِيَ على المقابلة بينهما، وعلى هذا، فإن ما في القصور أجمل مما في الخيام، والله -تعالى- أعلم.

وأنت تلحظ مقابلة القرآن بين ذكر الياقوت والمرجان، فإنّ فيهما مقابلةً بين نوعين من جنسٍ واحدٍ، واختيار أنقى الأنواع في الزينة وأصفاها، حيث (الياقوت: الجوهر الأحمر المعروف، والمرجان: صغار الدر، وقد شُبّهن بالياقوت في حمرة الوجه، والمرجان في بياض البشرة، فإن صغار الدر أنصع بياضاً من كباره)(٨٤).

(وقد شُبِّهن بهما فيما يحسن التّشبيه به، فالياقوت في إملاسه وشفوفه، والمرجان في إملاسه وجمال منظره)(٨٥).

د- النظر إلى التعقيب على ذكر الجنتين الأوليين، حيث جاءت الآية ﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [٦٠: الرحمن]. فيفهم من هذه الآية أن هاتين الجنتين الأوليين لمن بلغ الإحسان في عمله، ومقام الإحسان أعلى مقامات الخوف من الله -تعالى-، وهذا مقام السابقين والمقربين.

وأما في التعقيب على الجنتين الأخريين، فإنّ السورة ختمت بالآية ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٧٨: الرحمن]، وهذا تعقيب على الإنعام في الجنتين الأوليين والأخريين وعلى الإنعام في الدنيا الذي مرّ ذكره في ثنايا السورة، ولا يخفى أن هذا يقوّي الرأي القائل بأفضليّة الجنتين الأوليين على الأخريين.

وإذا كنا قد عرضنا للرأي الذي يذهب إلى أفضلية الجنّتين الأوليين، فإنّ هناك من يذهب إلى العكس تماماً، وهو فضل المتأخرتين في الذّكر على المتقدمتين، وقد ذهب إلى ذلك ابن عباس -رضي الله

تعالى عنهما- حيث قال: "(ومن دونهما) في القرب للمنعّمين، والمؤخرتا الذّكر أفضل من الأوليين، يدل على ذلك: أنه وصف عيني هاتين بالنّضخ، وتينك بالجري فقط، وهاتين بالدّهمة من شدّة النّعمة، وتينك بالأفنان، وكل جنّةٍ ذات أفنانٍ"(٨٦).

فابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- يرى أن النّضخ أقوى من الجري، وأنّ (مدهامتان): شديدتا النّعمة، وأن الجنتين الأخريين ذواتا أفنانٍ أيضاً، فهما تعلوان على سابقتيهما في زيادة النعمة.

وعلى ما بيّنا -فيما سبق-، فإن النضخ ليس بقوة الجري، ولا يقال أيضاً: إن كون الجنتين الأخريين شديدتا الخضرة إلى درجة السواد لكثرة الرّياحين، فإنهما قليلتا الثمر، لا يقال ذلك؛ لأن الغالب عليهما الخضرة والبساتين المزهرة بالإضافة للثمر المتنوِّع، أمّا الأوليان فهما خالصتان للتفكّه والتنعّم. وقد ذهب الحكيم الترمذي إلى رأي ابن عباس بشيءٍ من التفصيل، فهو يُرى أن الدُّونيّةِ تعني: القرب، حيث قال: (دون هاتين الجنتين إلى العرش، أي أقرب وأدنى إلى العرش، وقوله ﴿**عينان نضّاختان**﴾ أي بألوان الفاكهة والنعم، والجواري المزينات، والدوابِّ المسرجات، والثياب الملوّنات، وهذا يدل على أن النّضخ أكثر من الجري)(٨٧).

ويجاب عن هذا بأمرين:

أولاً: الدُّونيّةِ هنا يكشف معناها السياق -كما بينا-، فهي دونيّةٌ مقيّدةٌ بالوصف، تعني: أن الأخريين أقل رتبةً، أما الدُّنوُّ بمعنى القرب، فهذا يصح بمعونة السياق من نحو ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾[٦٣: المؤمنون]، ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾[٤٧: الطور]، أي "قبل يوم القيامة، وهو: القتل أو عذاب القبر"(٨٨) -نعوذ بالله من عذابه-، أما هنا فالأمر -كما يظهر- بخلاف ذلك.

ثانياً: (نضاختان) لا ينبغي أن تُحمّلَ ما لا تحتمل، فالنّضخ مرتبطٌ بالماء، "والنّضخ لا يطلق إلا على المائع والسائل"(٨٩)، وهنا الماء لا غير، وعلى هذا فالذي يتضح هو ميزة الجنتين الأوليين على الأخريين، والله -تعالى- أعلم.

الخاتمة:

إن طبيعة البحث في موضوع المقابلة في سورة الرحمن، اقتضت مني بعد الجهد والدرس أن أضع خاتمةً هي خلاصة النتائج التي توصلت إليها، أجملها فيما يأتي:

أ- المقابلة أسلوبٌ من الأساليب المهمة في علم البديع له قيمته في ترجيح المعاني وتقويتها.

ب- هناك فرقٌ بين المقابلة والطباق، فالمقابلة قد تكون بين الأضداد والمتوافقات، أما الطباق فلا يكون إلا بين الأضداد فحسب، زيادةً على أن المقابلة بين شيئين فأكثر، بخلاف الطباق الذي يكون بين شيءٍ وضده.

ج- المقابلة على أنواعٍ؛ فهناك مقابلةٌ من حيث العدد، وهي: مقابلة اثنين باثنين، ومقابلة ثلاثةٍ بثلاثةٍ، ومقابلة أربعةٍ بأربعةٍ، ومقابلة خمسةٍ بخمسةٍ، ومقابلة ستةٍ بستةٍ.

وهناك مقابلةٌ من جهة الترتيب، وهي على أنواعٍ:

١) أن يأتي بكلِّ واحدٍ من المقدمات مع قرينه من الثواني.

٢) أن يأتي بجميع الثواني مرتبةً من أولها.

٣) أن يأتي بجميع المقدمات ثم بجميع الثواني مرتبةً من آخرها.

٤) أن يأتي بجميع المقدمات ثم بجميع الثواني مختلطةً غير مرتبةٍ، وهناك مقابلةٌ من جهة الاختلاف، وهي: المقابلة النظيرية والنقيضية والخلافية.

د- للمقابلة أثرٌ في بيان معنى اللفظ القرآني وتوجيه أقوال المفسرين؛ إذ بأسلوب المقابلة يمكن طرح احتمالاتٍ للمعاني التي قد تكون بعيدةً عن المقصد الذي يريده النص القرآني أو اللفظ القرآني.

هـ- هناك أنواعٌ كثيرةٌ من المقابلات في سورة الرحمن، منها: مقابلةٌ من حيث العدد، ومقابلةٌ من حيث المعنى، وهناك مقابلةٌ في النوع، والجنس، والضد، والنظير، وقد ظهرت المقابلة في سورة الرحمن فيما يأتي:

١. المقابلة بين الآيات الكونية، حيث المقابلة بين الشمس والقمر والنجم والشجر، ورفع السماء ووضع الميزان، وإقامة الوزن بالقسط وعدم الخسران في الميزان، ووضع الأرض للأنام، والمقابلة بين أنواع النبت والثمر في الأرض، والمقابلة بين المشرقين والمغربين، والمقابلة بين البحرين، والمقابلة بين اللؤلؤ والمرجان.

٢. المقابلة بين الآيات الأنفسية: حيث المقابلة بين خلق الإنسان وخلق الجان، ومادة الصلصال ومادة النار.

٣. المقابلة بين الصفات الإلهية: حيث المقابلة بين صفة الجلال وصفة الإكرام.

٤. المقابلة بين الآيات المتعلقة بالحديث عن الآخرة، وهي على نوعين:

- المقابلة بين الآيات التي تتحدث عن أهل العذاب، حيث قابل القرآن بين النواصي والأقدام.
- المقابلة بين الآيات المتعلقة بنعيم أهل الجنة، وقد قابل القرآن بين نوعين من الجنات، الأوليان أعدتا للمقربين، والأخريان أعدتا لأصحاب اليمين.

وقد ترجحّ بأسلوب المقابلة فضل الأوليين على الأخريين وذلك بالنظر إلى الاعتبارات الآتية:

١. اعتبار الدُّونية في قوله تعالى:﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [٦٢: الرحمن].
٢. اعتبار التقديم في الذكر.
٣. اعتبار الأوصاف والمضمون في تلك الجنات.
٤. اعتبار التعقيب على ذكر كل نوعٍ من الجنّات.

وقد ناقش الباحث رأي من قال بأفضلية الجنتين الأخريين على الأوليين.

و- هناك ترابطٌ بين هذه المتقابلات يظهر من خلال السياق القرآني.

ز- هناك خلافٌ في فهم المتقابلات بين المفسرين والعلماء، عمل الباحث على بيانه والترجيح بين الخلاف الحاصل فيه.

وبعد فإني لأرجو من الله -تعالى- التوفيق والسداد فيما قدمت من جهدٍ وبحثٍ، فإن أصابني التوفيق فبفضلٍ من الله -تعالى- وإن أخطأت فأسأل الله -تعالى- المغفرة، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش:

---

(١) أخرج البيهقي من حديث عليٍ ﷺ مرفوعاً (لكل شيءٍ عروسٌ، وعروس القرآن سورة الرحمن)، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٠٦م)، **شعب الإيمان**، فصل في فضائل السور والآيات، ذكر المفصل، رقم ٢٤٩٤، تحقيق: محمد بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ (ط١)، ج٢، ص٤٩٠. وهذا لقبٌ للسورة الكريمة؛ لأنها الحاوية لما فيه من حليٍ وحللٍ وجواهر وكللٍ، العروس بجميع النعم والجمال والبهجة من نوعها والكمال، ينظر في ذلك إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، (ط١)، ج٧، ص٣٧١.

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا (توفي ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الدار الإسلامية، (د. ت)، (د. ط)، ج٥، ص٥١.

(٣) محمود بن عمر الزمخشري (توفي ٥٣٨هـ)، **أساس البلاغة**، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م ط(١)، ص٣٥٠.

(٤) جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (توفي ٧١١هـ)، **لسان العرب**، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، (د.ت)، (د. ط)، ج١٤، ص٥٦-٥٧.

(٥) الحسن بن عبد الله العسكري (توفي ٣٩٥هـ)، **كتاب الصناعتين**، تحقيق: د.مفيد قمحيَة، دار الكتب العلمية،

(د.ت)، (د.ط)، ص٣٧١.

(٦) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (توفي ٤٠٣هـ)، **إعجاز القرآن**، تعليق: صلاح بن محمد بن عويضه، بيروت، دار الكتب العملية، ١٤١٧هـ١٩٩٦م (ط١)، ص٦٨.

(٧) محمد بن عمر الرازي (توفى ٦٠٦هـ)، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، تحقيق: د. سليمان حموده، دار المعرفة الجامعيَة، ٢٠٠٣م، (د.ط)، ص١٥٠.

(٨) الخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، **الإيضاح**، إشراف: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، (د.ت)، (د.ط)، ص٣٤١، وانظر عبد المتعال الصعيدي، **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، القاهرة، مكتبة الآداب ومطبعتها، (د.ت)، (د.ط)، ج٤، ص١٣.

(٩) ذهب العلوي إلى أن المقابلة ضرباً من أضرب الطباق، انظر: يحيى بن حمزة العلوي (توفي ٧٤٩هـ)، **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، مصر، مطبعة المقتطف، ١٣٢٢هـ-١٩١٤م، (د.ت)، ج٢، ص٣٧٨.

(١٠) شهاب الدين الحلبي، **حسن التوسل إلى صناعة الترسل**، بغداد، دار الحرية، (د.ط)، ص٢٠٣.

(١١) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (توفي ٩١١هـ)، ، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٦٩م، (د.ط)، ج١، ص٤١٦، وانظر: ابن القيّم الجوزيّة، **الفوائد المشوّقة إلى علوم القرآن وعلم البيان**، القاهرة، ١٣٢٧هـ، (د.ط)، ص١٨٤.

(١٢) انظر: بدر الدين بن مالك، **المصباح في المعاني والبيان والبديع**، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٨٩م (د.ط)، ص١٩٢.

(١٣) أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت)، (د.ط)، ص٢٢٣.

(١٤) الرازي، **نهاية الإيجاز**، ص١٥٠. وانظر: بدر الدين ابن مالك، **المصباح**، ص١٩٤، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (توفي ٧٩٢هـ)، **المطول: شرح تلخيص مفتاح العلوم**، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م (ط١)، ص٦٤٣.

(١٥) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي(توفي ٧٩٤هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: يوسف مرعشلي وآخرون، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م (ط١) ج٣، ص٥٠٩.

(١٦) القزويني، **الإيضاح**، ص٣٤٢.

(١٧) البيت في ديوان عمرو بن كلثوم، انظر: عمرو بن كلثوم، **ديوان عمرو بن كلثوم**، تحقيق د. إميل بديع يعقوب، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٠هـ-١٩٩١م (ط١)، ص٨٦.

(١٨) أحمد مطلوب، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م (ط٢)، ص٦٣٨.

(١٩) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج٣، ص٥٠٦-٥٠٧.

(٢٠) المصدر السابق، ج٣، ص٥٠٥.

(٢١) أبو عبد الله محمد بن يوسف (توفي ٦٥٤هـ)، **البحر المحيط**، دار إحياء التراث العربي، (د.ت)، (د. ط)، ج٧، ص٧٣.

(٢٢) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (توفي ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تقديم وتعليق: د.مصطفى البغا، دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م ط(٣)، ج٢، ص١٠٩٨.

(٢٣) قال ابن عاشور: (إنما سميت الصاعقة أو الصيحة بالطاغية؛ لأنها كانت متجاوزةً الحال المتعارف عليه، فشبه فعلها بفعل الطاغي المتجاوز الحد في العدوان والبطش). محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، (د.ط)، ج٢٩، ص١١٦.

(٢٤) محمود بن عمر الزمخشري (توفي ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م (ط١)، ج٤، ص٦٠٢.

(٢٥) المصدر السابق، ج٤، ص٦٠٢.

(٢٦) محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، دار الفكر، (د.ط)، ج٤، ص١٤٣.

(٢٧) أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (توفي ٧٥٦هـ)، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق: د. محمد ألتونجي، بيروت، عالم الكتب، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م (ط١)، ج١، ص٢١٢.

(٢٨) محمد بن أبي بكر الرازي، **تفسير الرازي المسمى بـ (أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل)**، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ-١٩٩٠م ط(١)، ص٥٣٦.

(٢٩) ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج٤، ص١٦٨.

(٣٠) عبد الله بن عمر البيضاوي (توفي ٧٩١هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل وبهامشه حاشية الكازروني**، بيروت، مؤسسة شعبان، (د.ت)، (د.ط) ج٥، ص١٦٥.

(٣١) ينظر عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير (توفي ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م(ط١)، ج٤، ص٤٣٩.

(٣٢) عبد الله بن عمر البيضاوي (توفي ٧٩١هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م (ط١)، ج٢، ص٥٧٠.

(٣٣) سليمان بن عمر الجمل، **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية**، دار الفكر للطباعة والنشر، (د.ت)، (د.ط)، ج٤، ص٤٩٠–٤٩١ بتصرّف.

(٣٤) وهي قوله تعالى: ﴿قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء﴾ [١٣: البقرة].

(٣٥) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج٣، ص٥٠٨-٥٠٩.

(٣٦) الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٤٤٣، وانظر الخطيب الشربيني، **السراج المنير**، تعليق: أحمد عزو عناية الدمشقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م ط(١)، ج٧، ص٢٤١.

(٣٧) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج٣، ص٣٥٩.

(٣٨) التفتازاني، **المطول: شرح تلخيص مفتاح العلوم**، ص٦٤٥-٦٤٦.

(٣٩) أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة**، ص٢٢٣، وانظر عبد المتعال الصعيدي، **بغية الإيضاح**، ج٤، ص١٩.

(٤٠) أصل الطغيان: مجاوزة الحد في الشيء، ينظر السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ**، ج٢، ص٤٧٠.

(٤١) قال الراغب الأصفهاني: (الخسر والخسران: انتقاص رأس المال، وينسب ذلك إلى الإنسان فيقال، خسر فلان، وإلى الفعل فيقال: خسرت تجارته)، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (توفي ٥٠٣هـ)، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، ضبط وتصحيح: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م (ط١)، ص١٦٦.

(٤٢) ينظر عبد الله بن أحمد النسفي (توفي ٧١٠هـ). **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ضبط: زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م (ط١)، ج٢، ص٦٢٨.

(٤٣) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٨، ص١٩٠.

(٤٤) ممن ذهب إلى تفسير الرّيحان بالرّزق ابن عباس رضي الله عنهما- انظر: شهاب الدين السيد محمود الآلوسي (توفي ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت)، (د.ط)، ج١٤، ص١٠٣.

(٤٥) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج٧، ص٣٧٧.

(٤٦) انظر الآلوسي، **روح المعاني**، ج١٤، ص١٠٥.

(٤٧) محمد بن عمر الرازي (توفي ٦٠٦ هـ)، **مفاتيح الغيب**، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ-١٩٨١م (ط١)، ج١٥، ص١٠٠

(٤٨) البيضاوي، **أنوار التنزيل وبهامشه حاشية الكازروني**، ج٥، ص١٠٩.

(٤٩) أي: الخرز الأحمر.

(٥٠) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (توفي ٥٤٦هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: المجلس العلمي بتارودانت، ١٤١١هـ-١٩٩١م، (د.ط)، ج١٥، ص٣٣٠-٣٣١.

(٥١) البقاعي، **نظم الدرر**، ج٧، ص٣٨٣.

(٥٢) انظر البيضاوي، **أنوار التنزيل وبهامشه حاشية الكازروني**، ج٥، ص١٠٩. وانظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج١٤، ص١٠٥.

(٥٣) الجمل، **الفتوحات الإلهيَة**، ج٤، ص٢٥٥، وانظر الشربيني، **السراج المنير**، ج٧، ص٢٤٥.

(٥٤) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٨، ص١٩٠.

(٥٥) محمد بن محمد أبو السعود (توفي ٩٥١هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م (ط٤)، ج٨، ص١٧٩.

(٥٦) البيضاوي، **أنوار التنزيل وبهامشه حاشية الكازروني**، ج٥، ص١١٠.

(٥٧) البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧، ص٣٨٥.

(٥٨) أبو السعود، **ارشاد العقل السليم**، ج٨، ص ١٨٠، وانظر الآلوسي، **روح المعاني**، ج١٤، ص١٠٩.

(٥٩) البقاعي، **نظم الدرر**، ج٧، ص٤٠٠-٤٠١.

(٦٠) السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ**، ج٤، ص٢١٤.

(٦١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٥، ص٢٢.

(٦٢) البقاعي، **نظم الدرر**، ج٧، ص٣٩١.

(٦٣) البيضاوي، **أنوار التنزيل وبهامشه حاشية الكازروني**، ج٥، ص١١١

(٦٤) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج ٨، ص١٩٨.

(٦٥) عبد الرحمن بن ناصر السعدي (توفي ١٣٧٩هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م (ط١)، ص٧٧٢.

(٦٦) الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٤٥٢.

(٦٧) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٨، ص١٩٨.

(٦٨) البيضاوي، **أنوار التنزيل وبهامشه حاشية الكازروني**، ج ٥، ص١١١.

(٦٩) المصدر السابق، ج٤، ص١١١.

(٧٠) الكازروني، **حاشية الكازروني على البيضاوي**، ج٥، ص١١١.

(٧١) البيضاوي، **أنوار التنزيل وبهامشه حاشية الكازروني**، ج ٥، ص١١١.

(٧٢) الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٤٥٢.

(٧٣) النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج٢، ص٦٣٤.

(٧٤) البيضاوي، **أنوار التنزيل وبهامشه حاشية الكازروني**، ج٥، ص١١١.

(٧٥) الكازروني، **حاشية الكازروني على البيضاوي**، ج٥، ص١١١.

(٧٦) أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، **الخصائص**، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت)، (د.ط)، ج٢، ص١٥٧.

(٧٧) البيضاوي، **أنوار التنزيل وبهامشه حاشية الكازروني**، ج ٥، ص١١١.

(٧٨) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج ٨، ص١٩٨.

(٧٩) البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٧، ص٤٠٠

(٨٠) المصدر **نفسه**، ج ٧، ص٤٠٠.

(٨١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٨، ص١٩٨.

(٨٢) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج ٨، ص١٩٨.

(٨٣) الجمل، **الفتوحات الإلهية**، ج٤، ص٢٦٨.

(٨٤) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج٨، ص١٨٥.

(٨٥) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج ٨، ص١٩٨.

(٨٦) المصدر السابق، ج ٨، ص١٩٨.

(٨٧) الجمل، **الفتوحات الإلهية**، ج ٤، ص٢٦٨، وانظر الشربيني، **السراج المنير**، ج٧، ص٢٦٥.

(٨٨) قال االنسفي: (عذاباً دون ذلك) دون يوم القيامة، وهو القتل ببدرٍ والقحط سبع سنين، وعذاب القبر)، النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج٢، ص٦١٠.

(٨٩) ينظر في ذلك السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ**، ج٤، ص٢١٥ وما بعدها.